12 سلمى لاجيرلوف

«كيف أكتب ؟ لا أدرى كيف يحدث هذا ؟ فمن الصَّعب أنْ يؤلِّف الإنسان كتاباً.. على أنى حينما أنتهى من الكتابة لا أدرى كيف تم ذلك؟ يُخيَّل إلىَّ أن شخصاً آخر هو الذى كتب لى ...»

الروائية السويدية الفائزة بجائزة نوبل فى الأدب عام 1909م، والتى تعتبر أول كاتبة فى العالم تفوز بهذه الجائزة، وأول كاتبة أيضاً تصبح من أعضاء الأكاديمية السويدية التى تمنح الجائزة منذ عام 1914م.

وهى الكاتبة التى تحدت إعاقتها لتحلق فى سماء الشهرة والعالمية.

والتى لُقبت برائدة الكُتَّاب السويديين الرومانسيين، والتى تعتمد فى إبداعها على حكايات الفنون الشعبية.

تمهيد :

تطور الأدب الإسكندينافى :

الأدب الإسكندينافى يشمل أدب (الدنمارك، والنرويج، والسويد) بالإضافة إلى الأدب الفنلندى والآيسلندى . وقد أنتج الكُتَّاب الإسكندينافيون أعمالاً أدبية بارزة على مدى أكثر من ألف سنة .

تطوَّر الأدب الإسكندينافى المبكر من الحكايات والأشعار المرويَّة التى انتقلت من جيل إلى آخر لعدة مئات من السنين . بعض هذه الأشعار يرجع تاريخها إلى القرن الثامن قبل الميلاد، وكانت تتناول حياة ومعتقدات الطبقات العُليا فى أثناء عصر الفايكنج الذى استمر حتى حوالى عام 1100 م .

فى خلال القرن الثالث عشر الميلادى، أصبحت الأغانى الشعبية شائعة بين الناس، خاصة فى الدنمارك والسويد، وكانت تمدح البطولات والقصص المأسوية التى تُروى، وكانت تصف المصادمات بين المخلوقات البشرية والمخلوقات السحرية . وظهر أيضاً الكثير من الأشعار، وجمعت فى عمل آيسلندى بعنوان «أساطير شعرية» معظمه يحكى قصصاً خيالية، وأسطورة أسرة ملكية تُدعى «فولسونج».

وفى الفترة ما بين عام 1100 م إلى عام 1300 م، كُتبت حكايات نثرية تسمى «ساجا» بعضها يتحدَّث عن المغامرات البطولية، وبعضها الآخر عبارة عن سير ذاتية لشيوخ القبائل وحكاية «نجال» التى كتبها مؤلِّف غير معروف كانت أشبه برواية تاريخية، وكانت تصف عداءً عنيفاً بين عائلتين . وكانت حكاية «هيمسكرينجلا» التى كتبها «سنورى ستورلوس» تحكى تاريخ ملوك النرويج الذين حكموا البلاد قبل القرن الثالث عشر.

ومع بداية القرن الرابع عشر وحتى نهاية القرن السابع عشر بدأ المؤلفون الكتابة بلغة الكنيسة الكاثوليكية الرومانية وهى اللغة اللاتينية، ثم بدأ كثير من هؤلاء المؤلفين الكتابة بلغاتهم الأصلية .

وطوال القرن الثامن عشر أصبح الكُتَّاب أكثر اهتماماً بوصف الحياة اليومية لعامة الناس . فعلى سبيل المثال، كتب الشاعر السويدى «كارل ميشيل بيلمان» عن الحياة فى حانات ستوكهلم بالسويد .

ولقد برزت أهمية المسرح الإسكندينافى فى القرن الثامن عشر الميلادى وأصبح «لودفيج هولبيرج» أهم كاتب مسرحى إسكندينافى، مشهوراً بأعماله المسرحية الهزلية البارعة، كما حاز الدنماركى «جوهانز إيولد» الثناء بسبب أعماله المسرحية المأساوية .

أمَّا فيما يعرف بالعصر الذهبى فلقد قدَّمت فنلندا وآيسلندا عدداً كبيراً من الكُتَّاب البارزين خلال القرن التاسع عشر وتأثَّرا كُتَّاب تلك الفترة بحركتين أدبيتين : الحركة الرومانسية فى بداية ومنتصف القرن التاسع عشر، والحركة الواقعية فى أواخره . وقد أكَّد كثير من الكُتَّاب الرومانسيين على الخيال والعاطفة، ومن بينهم «هنريك أرنولد فيرجلاند» من النرويج، و«لا كارل جونانسى لاف» من السويد، و «نيكولاى

فريدرك جراند فيج» من الدنمارك . واهتم عدد كبير من الرومانسيين بالفنون الشعبية، والأساطير، فقد جمع الفنلندى «لونروت» الأساطير والخرافات القديمة فى بلده لكى يُشكِّل الشعر الملحمى «كاليفالا» (1835م) .

وحاول الكُتَّاب الواقعيون وصف الحياة بدقةٍ وموضوعية، فقد أثَّرت مسرحيات الكاتب النرويجى «هنريك إبسن»، والكاتب السويدى «أوجست ستريندبيرج» على نحوٍ كبير فى الأدب المسرحى الغربى الحديث

أمَّا المرحلة الحديثة فى الأدب الإسكندينافى، بدأت بكُتَّاب أنتجوا أعمالهم الأولى المهمة فى تسعينيات القرن التاسع عشر، اشتملت هذه الأعمال على كتابات واقعية ورومانسية . وكتب النرويجى «كنوت همسون» عن أولئك الذين تمردوا على المجتمع فى روايات مثل «الجوع» (1890م)، و «بان» (1894م) وأصبحت الكاتبة السويدية «سلمى لاجيرلوف» مشهورة بروياتها الرومانسية التى تعتمد على حكايات الفنون الشعبية . واكتسبت الدنماركية «سيجريد إندست» اعترافاً دولياً بروياتها . وكتبت الدنماركية «إيساك داينسين» قصصاً عن الطبقة العُليا والفنانين، ونشرت قصصها فى مجموعات مثل «الحكايات القوطية السبع» 1943م .

***

سلمى لاجيرلوف .. الميلاد وذكريات الطفولة :

ولدت الروائية السويدية «سلمى لاجيرلوف» Selma Lagerlof فى العشرين من شهر نوفمبر عام 1858 م فى إقليم «ماريا كا» الواقع فى مقاطعة «فارملاند» التى كانت تابعة لكل من النرويج والسويد معاً . وهو إقليم يقع وسط مناطق الجبال بين البلدين.

تربت «سلم لاجيرلوف» بين أحضان أبيها عقب وفاة أمِّها وهى فى سنٍ صغيرة .. ورأت فى أبيها مثالاً أعلى يُحتذى به فى الثقافة والأدب، حيث كان يحفظ الشعر ويقرضه أيضاً .

بلا شك كان للأب دور مهم وعظيم فى حياة ابنته، فهو الذى فتح أبواب مكتبته الضخمة لها كى تنهل منها ما تشاء لتتحوَّل الصغيرة بمرور الوقت إلى مثقفة كبيرة .

مأساة الإعاقة :

أُصيبت «سلمى لاجيرلوف» وهى فى التاسعة من عُمْرها بمرض أصابها بشلل فى الساقين، أقعدها عن اللَّعب والحركة كباقى الأطفال فى مثل سنها، كما أبعدها هذا الشلل عن المدرسة، ولكن هذا الأمر مكنها من الانغماس أكثر فى عالم القراءة .

النزوح إلى إستوكهولم :

حاول الأب كثيراً إيجاد علاج ناجح لشلل ابنته، لذا قرَّر النزوح إلى استوكهولم لعلَّه يجد فيها علاجاً شافياً لابنته، يعيد لها الحيوية والنشاط . كان هذا هو قصد الأب ومراده من السفر، أمَّا الطفلة «سلمى لاجيرلوف» فكان لها رأى آخر فى تلك الرحلة، هى راحت تتردد على المسارح السويدية، وتستمتع بتلك الفنون المسرحية الرفيعة، كما أخذت تُطالع النصوص المسرحية الرائعة بنهم وعمق، لتعود بعدها إلى قريتها الصغيرة محملة بإرث مسرحى أدبى رائع .

الإرهاصات الأولى فى الإبداع الشعرى والروائى لسلمى لاجيرلوف:

سعت «سلم لاجيرلوف» أن تكسب حياتها من خلال عملها كمُعلِّمة . ثم بدت عليها الإرهاصات الأولى لقرض الشعر ونظمه، ولعلَّها اتجهت فى البداية للشعر من أجل أن تحظى بإعجاب وتقدير والدها الذى كان يتذوق الشعر بشكل ملحوظ . وهى لم تضع مخططاً لأهدافها فى الحياة أو فى التعبير عن مواهبها منذ أن شعرت بأنَّها تستطيع أن تُجارى أدباء عصرها فيما قدموا من روائع الفكر والأدب، فكانت تقرأ مؤلفاتهم وتتبع أخبارهم، وتعيد المطالعة فى أدب «توماس كارلايل» الذى كان له تأثير عميق فى نفسها .

عالم «سلمى لاجيرلوف» الروائى :

رواية : بطولات جوستاف بيرلنجز :

رؤية معاصرة لأسطورة فاوست، تحكى قصة شاب يبيع روحه للحصول على النساء !!

اشتهرت «سلمى لاجيرلوف» برواياتها الرومانسية التى تعتمد على حكايات الفنون الشعبية، وروايتها «بطولات جوستاف بيرلنجز» التى صدرت فى عام 1891م، كانت تحكى المغامرات النابضة بالحياة لشاب منحرف ورفاقه . وقد حظيت هذه الرواية بإعجاب القُرَّاء والنقَّاد على حدٍ سواء . وتعتبر الرواية بمثابة رؤية معاصرة لأسطورة «فاوست»، إنَّه جوستاف (وهى كلمة تعنى الشبح باللغة السويدية)، الذى يبيع روحه من أجل الحصول على النساء اللاتى يرغبن فيهن!!

لم تحظ «سلمى لاجيرلوف» بمثل هذا الاهتمام نتيجة لرؤيتها الجديدة لأسطورة «فاوست» ولكن بسبب أسلوبها الملحمى الملىء بالشاعرية الجميلة، وكأنَّها سكبت كل موهبتها كشاعرة فى هذا النص الروائى .

رواية : الروابط الخفية :

مجموعة من القصص الشعبية .

لم يكن النجاح الذى حققته رواية «بطولات جوستاف بيرلنجز» سوى عبء ثقيل على الكاتبة، والتى رأت أن عليها أن تتريث كثيراً قبل أن تُقدِّم روايتها التالية، فراحت تدرس وتبحث، فابتدعت شخصية حكائية أشبه «بحكايات الجدة» فى تراثنا العربى القصصى، وقدَّمتها فى روايتها «الروابط الخفية» المنشورة فى عام 1894 م، والتى تروى مجموعة من القصص المستلهمة من التراث الشعبى السويدى التى عاشت فى قلوب الناس .

رواية : معجزات المسيح الدَّجال :

رواية تُهاجم الاشتراكية الوليدة فى أوروبا :

صدرت هذه الرواية فى عام 1896 م، وفيها راحت «سلمي لاجيرلوف» تنظر إلى الاشتراكية التى كانت بوادرها تزدهر فى أوروبا فى تلك الحقبة، باعتبارها المسيح الدَّجال فى العصر الحديث، باعتبار أنَّها نظرية مُلحدة . ولم يكن هذا يعنى أن «لاجيرلوف» يمينية، مثلما يقول الناقد الفرنسى «ريجيس بوييه»، بل إنَّها كانت تدافع دوماً عن احتياجات

المحتاجين والضعفاء والمعوزين . كما إنَّها وقفت ضد النظريات المادية التى جاءت بها الحضارة الرأسمالية .

روايتا : قصة ريفية، ورحلة إلى مدينة القدس :

الأولى تدور حول فتاة تُبعث من موتها، والثانية تدور حول أسرة تنفى إلى فلسطين فتجد فى القدس السلام والأمان .

رواية «قصة ريفية» التى صدرت عام 1899 م تدور أحداثها حول فتاة تُدعى «جونز» التى تبعث من جديد بعد موتها، من أجل إنقاذ فتاة أصابها مس من الجنون عقب تجربة حبّ فاشلة .

ومع بداية القرن العشرين نجد الكاتبة «سلمى لاجيرلوف» تنحى نحو الاتجاه الدينى، حيث كان هذا الاتجاه هو السائد أو الواضح فى كتاباتها منذ عام 1900م، فنشرت رواية ضخمة من جزئين بعنوان : « رحلة إلى مدينة القدس»، حيث تقوم بها أُسرة سويدية تُنفى إلى فلسطين، لكنها تجد هناك المأوى الروحى الذى يتناسب مع تدين هذه الأسرة والرواية تدور حول محور مهم هو البحث عن السلام والطمأنينة والعدالة.

وتعتبر هذه الرواية بمثابة درة أعمال «سلمي لاجيرلوف»، والتى يُرجّح أنَّها كانت سبباً رئيساً من أسباب فوز الكاتبة بجائزة نوبل .

ويُرجح النُقَّاد أن الروائية كتبت هذه الرواية أثناء ضيقة نفسية آلمت بها، هذا ما دفعها أن تشد الرحال لزيارة مدينة القدس لتعيش هناك أحد عشر عاماً فى رحاب بيت لحم حيث ولد وعاش السيد المسيح .

على أن الإقامة فى تلك البقعة المقدسة التى أقامتها الكاتبة منحها من العُمق الدينى والتراثى ما عمَّق تجربتها فأفرزت «كتاب الأساطير» و «البيت العتيق» .

رواية : الرحلة العجيبة لنيلزهواجرسون فى أطراف السويد :

كُتبت خصيصاً للأطفال، وفيها يتعلمون أن حُبّ الوطن من الأمور المقدسة .

شهدت الكاتبة بعد ذلك تحولاً فى أدبها، حيث اتجهت إلى كتابة قصص الأطفال، ورُغم أن كتابها المنشور عام 1894 م عن «الروابط الخفية»، يتناول قصصاً عن السحرة التى يُعجب بها الأطفال، فإنَّها لم تكن مقصودة أن توجه مباشرة للصغار فى تلك المرحلة. ولكنها بعد اثنى عشر عامًا من هذا التاريخ أرادت أن تقدم تجربة مماثلة لكتاب فرنسى قرأته عن رحلة طفلين إلى فرنسا، فتصوَّرت طفلاً سويدياً يعشق التاريخ والجغرافيا، ويقوم برحلة عبر السويد . والغريب أن هذه الرحلة قد استغرقت عامين فى كتابتها تحت عنوان «الرحلة العجيبة لنيلز هواجرسون فى أطراف السويد»، والتى تُعتبر أجمل قصص الأطفال المكتوبة فى شمال أوروبا بعد حكايات أندرسون المعروفة .

وفى هذه القصص يتعلَّم الصغار أن حبّ الوطن من الأمور المقدسة، وإنَّه سبب لجلب السعادة للبشر، و«نيلز» هنا صبى يسعى للعثور على صحبة مع رجلين بالغين لأنَّه يود أن يعقد صلة متينة مع الطبيعة وحيواناتها، فقد أنتجت الطبيعة حيواناتها ليحكى كل منهم حكايته .

ثلاثية : لوفنسكولد :

مذكرات ذاتية عنونتها الكاتبة باسم قريتها فى ثلاثة أجزاء .

رغم أن «سلمى لاجيرلوف» قد فازت بجائزة نوبل فى الأدب وهى فى سن صغيرة نسبياً، كما أنَّها أصبحت أول امرأة تنضم إلى الأكاديمية السويدية، إلاَّ أن هذا لم يوقفها قط عن العمل، فظلت تكتب حتى آخر لحظة فى حياتها ، ففى عام 1914 م نشرت روايتها «حوذى الموت» ورواية «إمبراطور البرتغال» فى عام 1916 م .

وعرفاناً بفضل والدها عليها وكذلك للمنزل الذى عاشت فيه فقد قرَّرت استغلال أموال الجائزة فى استعادة منزل العائلة فى قريتها الذى بيع قبل سنوات من وفاة والدها . واستقرت فى قريتها الصغيرة حيث عكفت منذ عام 1932 م على قراءة مذكراتها التى عنونتها باسم قريتها فى ثلاثة أجزاء استغرقت كتابتها بين عامي 1922 - 1932 م .

«سلمى لاجيرلوف» .. تفوز بجائزة نوبل فى الأدب :

كانت «سلمى لاجيرلوف» أول كاتبة على الإطلاق تحصل على جائزة نوبل فى

الأدب، وحين فازت بهذه الجائزة كانت فى قمة شهرتها وعطائها .وقد حصلت علي الجائزة عام1909 وتعتبر أصغر من نالها في أوائل القرن العشرين فقد كان عمرها آنذاك 51عاما

و«سلمى لاجيرلوف» هى أبرز وجوه الأدب السويدى فى القرن العشرين، وخاصة أنَّها أصبحت من أعضاء الأكاديمية السويدية التى تمنح الجائزة فى عام 1914 م، أى عقب فوزها بجائزة نوبل بخمس سنوات فقط .

تجربة «سلمى لاجيرلوف» فى الكتابة والإبداع :

ابتعدت عن القص الذاتى الذى يسجل معاناة المرأة فى الزواج والحياة، حيث تأثَّرت بالتيارات الأدبية الجديدة . وقد تميَّز إبداعها القصصى والروائى بالخيال الخصب المُجنح على أعمدة الواقع . مستلهمة الجانب الأكبر من إبداعها من القصص الشعبية . ولذا فلا غرو أن تُلقب «برائدة الكُتَّاب السويديين» .

وهى تقول عن تجربتها فى الكتابة : «عندما أكتب أعيش فى وحدة كبيرة، وعلىَّ أن أختار بين أنْ أعيش بمفردى وأنا أكتب، وبين أنْ أعيش مع الآخرين فلا أقدر على كتابة كلمة واحدة .. كيف أكتب ؟ لا أدرى كيف يحدث هذا ؟ فمن الصعب أنْ يؤلِّف الإنسان كتاباً، على أنى حين أنتهى من الكتابة لا أدرى كيف تم ذلك ؟ ويُخيَّل إلىَّ أن شخصا آخر هو الذى كتب لى !! .

الرحيل :

رحلت الكاتبة السويدية «سلمى لاجيرلوف» عن دنيانا فى عام 1940م عن عُمْر يناهز 82 عاماً .